

العرب والاتحاد السوفيتي

(على هامش زيارة شبيلوف)

عندما أفكر في السياسة الخارجية^(١) التي بدأت تنتهجها مصر وسورية منذ عام أجد لها أسساً وخطوطاً رسم حزبنا بعضها منذ حوالي عشر سنوات - كسياسة الحياد الايجابي - ورسم بعضها الآخر قبل ذلك بسنوات - واعني بها موقف العرب من الاتحاد السوفياتي .

ففي أحاديث حزبية طبعت عام ١٩٤٤ تحت عنوان «القومية العربية وموقفها من الشيوعية» فرقنا تفريقاً واضحاً بين الشيوعية كنظرية وكحزب قائم في بلادنا ينطلق من نظرة ومقاييس غير نظرة هذه البلاد ومقاييسها القومية، وبين الاتحاد السوفياتي كدولة تقدمية كبرى يمكن أن يكون لها وزن خطير في دعم قضايا الشعوب المظلومة المستعمرة وفي تعديل طغيان الدول الاستعمارية . فقد كتبنا في نهاية تلك النشرة المطبوعة قبل اثني عشر عاماً ما يلي : «فنحن نفرق بين هذه الدولة (الاتحاد السوفياتي) وبين الحزب الشيوعي كل التفريق، ونعلم أن العرب لا يرون أي موجب لمعاداة دولة عظيمة كروسيا السوفياتية ما تزال منذ نشوء نظامها الجديد تظهر العطف على الشعوب المناضلة في سبيل حريتها واستقلالها . بل أن العرب ليأملون أن تنتج نوايا الدولة السوفياتية أثراً عملياً طيباً في السياسة الدولية، فتتوثق صداقتهم بها بقدر ما يلمسون من صدق هذه النوايا ومن اتفاقها مع مصلحتهم القومية» .

(١) نشر في جريدة «البعث» في ٢٩ حزيران ١٩٥٦ .

وكتبنا عام ١٩٤٦ في مقال نشر في جريدة «البعث» العدد (٦) الصادر في ١٠ تموز تحت عنوان «علة الضعف في سياستنا الخارجية» ما يلي : «والسياسة التي لها وزنها الثقيل في الضغط على مقدرات العرب هي بصورة خاصة سياسة الدولتين الانكلوسكسونيتين، بريطانيا والولايات المتحدة. وليس لهذه السياسة ما يتكافأ معها في القوة والتأثير ويشكل معدلاً لخطرها الا سياسة دولة كبرى تقف للاستعمار البريطاني والأميركي بالمرصاد، هي دولة الاتحاد السوفيتي، وان من أبسط القواعد السياسية ومن أولى الواجبات القومية التي تترتب على حكومات واعية لمصلحة بلادها، حرة في تقرير موقفها السياسي الدولي هي أن تستعين على أعدائها، بأعداء أعدائها أو على الأقل أن تهدد بهم وان تهتم بمكافحة العدو الجاثم على قسم كبير من أراضيها والعدو المعتدي على صميم قوميتها».

هذا ما كنا نراه منذ سنين عديدة، فلننظر الى ما يجب أن يكون عليه موقفنا القومي على ضوء التطورات والتجارب التي تمت منذ ذلك الحين سواء في العالم أو في داخل بلادنا العربية. أما في العالم، فقد قويت وتعاضمت جبهة الشعوب المتحررة من نير الاستعمار والتمسكة باستقلال سياستها عن سياسة المعسكرات العالمية. كما تطور الاتحاد السوفيتي نفسه في الاتجاه الذي كنا نتوقعه، وهو التعاون الحر الذي يحترم خصائص الشعوب وظروفها الخاصة ومشروعية أقامتها أو وصولها الى الاشتراكية بطرقها الخاصة بها. وهذه كلها عوامل مطمئنة ومشجعة للشعب العربي وحكوماته التقدمية لكي يمضوا دون حرج وبمزيد من الثقة والجرأة في سياسة الحياد الايجابي والتعاون مع الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي. فلقد غدا اليوم واضحاً أن مصلحة الأمة العربية ومصلحة الاتحاد السوفياتي تلتقيان، ولزمن غير قصير، في أكثر من نقطة حيوية. فالأمة العربية تناضل في سبيل التحرر السياسي والاقتصادي من الاستعمار الغربي. والاتحاد السوفياتي يرى في بقاء احتلال دول الغرب العسكري والاقتصادي للبلاد العربية خطراً مباشراً يهدد وجوده. وهو لذلك، اذ يدعم قضايا العرب ويمدهم بالسلاح والعون الاقتصادي لا يطمح الى أكثر من اغلاق البلاد العربية في وجه الاستعمار الغربي ومنعه من استخدامها مسرحاً

لعملياته الحربية ومورداً اقتصادياً لتغذية نفوذه وسيطرته . ولكن كان من واجب العرب أن يكونوا واقعيين فيعرفوا ما هي المصالح التي غيرت سياسة الاتحاد السوفياتي نحوهم وقربته من طريقهم وصدقاتهم ، فإن من الواقعية أيضاً أن يدركوا الفارق الأساسي الذي يقوم بين الدول الاشتراكية من جهة ، والدول الرأسمالية من جهة أخرى ، وان من ضمن مصالح الدول الاشتراكية أن تخلص لمبادئ مجتمعاتها القائمة على الحرية والعدالة والسلام والمتنافية مع الاستعمار والاستثمار .

٢٩ حزيران ١٩٥٦